ماذا تريد؟

خطبة الجمعة في العادلية للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني بتاريخ ٢٠٠٧/٤/٢٠

نجاحُ الإنسان أو فشله، ونجاح الأمم ونهضتها ورقيها، أو فشلها وانهزامها وتخلُّفها، يرجع إلى الإرادة.

ولقد كان أهل العلم يبدؤون كتبهم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: **(إنما الأعمال بالنيات)** لأن نيّة المرء وإرادته سابقة لعمله فهي منطلق الخير أو باعث الشر، وليس من قبيل العبث أن يعتني المصلحون التربويون في تاريخنا بتطهير القلوب، كالإمام الغزالي رحمة الله عليه وقد بين ذلك، وشرح مقصده، بأن الأعمال تستند إلى مُرادات القلوب، وإرادة الإنسان في قلبه هي التي تولِّد العمل، بل إن الغزالي رحمه الله، بالغ في التشخيص حين تحدث عن خطرات القلوب، لأن خطرات القلوب تولِّد الميل، والميل يتبعه عزم ونيَّة وإرادة.

بعد هذا نستطيع أن ننظر إلى العالم وإلى أمتنا وإلى واقعنا وإلى سلوكياتنا... نظرة مشخِّص للمرض، ولا يكون هذا إلا حينما نعتني بإرادة الإنسان وقصده.

وحين يضيع المقصود وتتبعثر الإرادة يضيع الإنسان، وحينما تنحرف الإرادة ينحرف الإنسان وحينما تستقيم الإرادة يستقيم الإنسان.

وأردت أن أقدم استقراءً قمت به متتبعا في كتاب الله تبارك وتعالى الهادي للإنسان لفظ الإرادة.

والقرآن كما تعلمون كتابُ الله الذي به حياة الإنسان، وبه حضارته، وبه نهضته، وكذب الذين يريدون حصر القرآن في العبادات وعزله عن الواقع والحياة، وهي لعبة قذرة

مفضوحة تسير من ورائها يهودية حاقدة تريد استئصال الإسلام، وتستخدم أدواتها بأشكال متعددة.

القرآن يبني الإنسان بكل أبعاده، كانت تلك الأبعاد في العبادة أو في المعاملة، في الاقتصاد أو في الاجتماع، في الفرد أو في الجماعة في تدبير الشؤون الخاصة أو في السياسة العامة.

وقال الله تعالى فيه: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]

وبالاستقراء وجدت أن الإرادة التي ذكرت في القرآن تنقسم إلى نوعين اثنين:

- **إرادة نورانية:** نعدد تحت نوعها أعدادًا وأصنافًا.
- **وإرادة ظلمانية:** تصنَّف تحتها أيضًا أنواع من الإرادات.

وقبل ذكر بعض النماذج من الآيات الكريمة، أعدد ما وضعته من العناوين تحت كل من الإرادة النورانية والإرادة الظلمانية.

فمن أنواع الإرادة النورانية المذكورة في القرآن الكريم:

١- إرادة وجه الله.

٢- وإرادة الآخرة طمعًا في الثواب.

٣- وإرادة تذكر القلب بالبعد عن غفلته، وإرادة شكر المُنعم بالعمل الصالح.

٤- وإرادة الإصلاح الإنساني.

٥- وإرادة البناء الاجتماعي السليم.

ومن أنواع الإرادة الظلمانية التي ذكرت في كتاب الله تبارك وتعالى:

١- إرادة المعبودات الباطلة.

٢- وإرادة الاحتكام إلى غير الله.

٣- وإرادة سلامة النفس على حساب المبادئ.

٤- وإرادة التحريف العقدي.

٥- وإرادة الخيانة والخداع.

٦- وإرادة مخالفة جماعة الحق.

٧- و إرادة الفرار والانسحاب من المسؤوليات.

٨- وإرادة المنعة والجاه.

٩- وإرادة معصيةِ الله.

١٠- وإرادة الشذوذ السلوكي.

١١- و إرادة الإفساد الخلقي.

١٢- وإرادة محو الإسلام.

وكنت في هذا الاستقراء باحثًا لا مبررًا، أبحث عن النص لأستمد منه العنوان، ولا أضع العنوان ثم أبحث عن مبرره في النص.

ومنهجنا الذي نستمد من خلاله سلوكنا هو السير وراء القرآن لا أمامه، فالذين يضعون الأفكار من بنات عقولهم ثم يبحثون في النصوص عن مبرراتها، يمشون أمام القرآن، والذين يضعون القرآن أمامهم فيقرؤون النصوص ويستمدون المنهج من النصوص يسيرون خلف القرآن، قال تعالى: ﴿لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[الحجرات: ١].

وما أريد بهذا البحث أن أقدم تنظيرًا، فقد شبعنا من التنظير، لكنني أريد أن يكون أمامنا ميزان، ليَزِن كل واحد منّا نفسه عليه، ولينسب إرادته وإرادة غيره حين تكون علل الأمة منتشرة أو تكون صحتها حاضرة.

فالمقصود من هذا البحث تربوي.

أمَّا النوع الأول من الإرادة النورانية فإنه مذكور في القرآن الكريم ومصرّح به وهو: إرادة وجه الله:

وهو أعلى أنواع الإرادات، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾[الروم:٣٨]

فإذا اقترن هذا الفعل الخيري، وهذا العمل النافع بإرادة وجه الله كان خيرًا، وإذا لم يكن مقترنًا بإرادة وجه الله، إنما كان هذا الإنفاق لمصلحة ما يجنيها هذا الإنسان، فيعمل من أجل الخلق، ومن أجل الشهرة، ومن أجل المصالح، فإن هذا الإنفاق لا يكون خيرًا في حقه..

ذلك خير للذين يريدون وجه الله، وإذا أراد الإنسان أن يعلم معنى إرادة وجه الله فإنها باختصار حذف إرادة غيره، إنها حقيقة لا إله إلا الله، التي تشرق على القلب فتحرق منه غير إرادة ربه، فيحصل الثبات في صدق التوجه، ومثاله موقف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم جاء إليه قومُه يعرضون الملك عليه، ويعرضون المال، ويعرضون النساء، لكنه صلى الله عليه وسلم كان فوق تلك المرغِّبات، فوقف يقول قولته التي تتزلزل لها الجبال: (والله، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه).

هذه هي الإرادة التي تصنع الرجال، أما الذين ينبطحون أمام المغريات، ويزحفون هاربين أمام المرهِّبات، ويتخلون عن مبادئهم، فأولئك ليس لهم حظ ولا نصيب من هذا أبدًا.

النوع الثاني من الإرادة النورانية: إرادة الآخرة طمعًا في ثوابها المغيب:

ولا يمكن للإنسان أن يظهر فيه هذا النوع من الإرادة حتى يكون مصدقًا بكلام الله، فكلما ازداد تصديقه بكلام الله تعالى، وثق بما عند الله أكثر من ثقته بما هو في يده، وإذا ضعُف هذا التصديق يقدِّم ما في يده على ما هو عند الله.

ونجد في الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ أي يريد أن يزرع في الآخرة، والله سبحانه وتعالى يعده، ويقول له إن كنت تريد أن تزرع في الآخرة فسأعطيك في الآخرة ما لا تتصوره، وسأزيد لك في حرثك الأخروي، إن كنت تريد الجنّات فسأعطيك ما لا يخطر على قلبك منها وأزيدك، وإن تركت شهوتك العاجلة، فسأعطيك من شهوتك الآجلة ما لا يخطر على قلبك، وإن تخليت عن بعض مالك فسأعطيك ما هو يزيد على أموال الدنيا أضعافًا مضاعفة، وأزيدك فوقها.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ أي يريد أن يزرع في الدنيا غافلاً عن زراعة الآخرة، فيُثَمِّر مال الدنيا، ولا يريد أن يثمر مال الآخرة.

﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[الشورى: ٢٠]

وهُنا يركِّز القرآن على الإرادة.

ويقول تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾[الإسراء: ١٨-١٩]

أيها الإخوة لا تحسدوا من يتقلب في الفسوق والضلال والعناد والجحود والمكابرة، ولو كانت عنده أموال الدنيا، ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾[الأنفال: ٣٦]، ﴿لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ ﴾[آل عمران: ١٩٦]، ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[الحجر: ٣]

كن فوق الدنيا بإرادتك، ليكن جسدك في الدنيا أما همّتك فلترتقِ فوقها، ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا ﴾ فلا يكفي أنه يتمنى الآخرة، حينما حدثك عن إرادة الدنيا لم يتحدث عن عملها، لأن إرادة الدنيا ستبعثك وتدفعك إلى أن تكون خادمها، أما إرادة الآخرة فإن الدعوى تغلب فيها، لذلك طلب العمل مع تلك الدعوى قائلا: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا ﴾ فكم ممن يدّعون أنهم يريدون الآخرة لكنك حينما تزن أفعالهم، وتزن سلوكهم تجدها أبعد ما يكون عن الآخرة وعن سعيها.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أنظر كم يذكرُ القرائن: (إيمانٌ وسعيٌ) وبعدها يصح له أن يقول أريد الآخرة، ورحم الله من قال:

قلت خذ روحي قال الروح لي		خلِّ دعواها وهات الجسدا

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾[الإسراء: ١٨-١٩]

واقرئي يا أختاه هذا الخطاب الذي أفرده للأنثى في إرادة الدنيا وإرادة الآخرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٨]،فلا مناسبة بين من تريد الدنيا مع إرادة رسول الله، ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً، وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩].

الإرادة الثالثة النورانية: إرادة تذكر القلب:

ما أعجب القلب الغافل الذي لا يريد التذكر، وهي مشكلة مثالها المريض الذي لا يريد الشفاء، قلب يريد أن تزداد أقفاله، ويسعى لزيادة الأقفال عليه.

واقرؤوا هذا في كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ [الفرقان: ٦٢]

فقد أعطانا فسحة في الوقت وإذا فاتك عمل الليل تستدرك في النهار.

﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾، لمن أراد أن يتذكر قلبه، وهو يخطو خطوات في طريق القرب إلى الله.

﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ وهي إرادة الشكر، ولا تكون إرادة الشكر إلا بالعمل الصالح، فهو يريد العمل الصالح ليشكر الله تعالى به.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]

الإرادة النورانية الرابعة: إرادة الإصلاح الإنساني:

وقد ورد هذا النوع من الإرادة في القرآن في قصة شعيب عليه الصلاة والسلام عندما أرسله الله تبارك وتعالى إلى قومٍ يكيلون بمكيالين، ويبخسون الناس أشيائهم، ويعيثون في الأرض فسادًا، فكانوا مثالاً للاضطراب الإنساني، البعيد عن كل الموازين الضابطة، يفعلون ما يفعلونه من الاحتيال في تجارتهم، ويسعون في السرقة والغش، وفي الاعتداء على أموال الناس، فأرسل الله سبحانه شعيبًا عليه الصلاة والسلام بشعار، و لم يكن هذا الشعار مجرد شعار، وما أكثر الشعارات التي لا يكون معها من السلوك شيء، بل كان يعضده سلوك وتطبيق:

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨].

وهو كلام مختصر تفصيله في مجلدات، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ﴾ أي أريد التغيير، وأريد إعادة الناس إلى الموازين، وأريد الكيل بمكيال واحد، وأريد المساواة لكل إنسان.

إنَّ بلادًا ليس فيها مساواة لا قيمة لمن يزعم فيها أنه يريد تغييرًا أو إصلاحًا، لأن أول ما ينبغي أن يتوجه إليه في الإصلاح المساواة، حتى يتساوى الحاكم مع المحكوم، ويتساوى الغني مع الفقير، ويتساوى المنتمي مع غير المنتمي، ولقد فقدنا هذه المعايير في زمن المصالح والأهواء والاستبداد، الذي يُكال فيه بألف مكيال.

المساواة التي وقف صلى الله عليه وسلم يعلنها في حجة الوداع، (أيها الناس) و لم يقل أيها المسلمون، (إن ربكم واحد،وإن أباكم واحد)

المساواة التي تبعث على الشعور بحق الآخر، من غير مصادرة، ومن غير كذب ولا خداع، ومن غير التفاف.

نحن نعيش تناقضًا كبيرًا بين المعلن والمطبّق، فالمُعلن شيء والمطبق شيء آخر، ونعيش عصر الوجوه المتعددة التي لا صدق فيها ولا مصداقية.

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ فما كلَّفك الله تبارك وتعالى أن تحقق النتيجة فعلاً، لكنه طلب منك الإرادة، فحينما تصح الإرادة ينتهي دورك، وأما النتائج فإنها من خلق الله، ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ﴾[الغاشية: ٢١-٢٢]، فأكبر ما يتعلَّل به الهاربون والمخادعون أنفسهم أنهم لا يستطيعون التغيير.

من الذي كلفك أن تكون مستطيعًا للتغيير؟

لكن هل أردت الإصلاح ما استطعت، فهنا يظهر الكاذب من الصادق،﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾، ودوري أنني لا أترك فرصة أستطيع فيها فعل شيء ينتج عنه الإصلاح إلا وأقوم به، ولا يؤاخذني ربي إن لم أستطع فقد أردت الإصلاح ما استطعت.

فمتى يفهم الدعاة ومتى يفهم المتخاذلون، ومتى يفهم الهاربون، ومتى يفهم الجبناء والخائفون، ومتى يفهم المتلونون بألف لون...!!

الإرادة النورانية الخامسة: إرادة البناء الاجتماعي:

والبناء الاجتماعي يبدأ بالأسرة، فإذا كنت قادرًا على بناء أسرة واحدة صالحة ستبني مجتمعًا، وأكثر ما حصل في بلادنا وفي بلاد المسلمين خاصة من الاضطراب راجع إلى فساد تكوين الأسرة، وأصبحت المعايير مادية، وأصبحت المعايير: (قال الناس) بعيدًا عن المبادئ، وبعيدًا عن ميزان الله سبحانه.

هذا النوع من الإرادة لبناء الأسرة نقرؤه في إرادة الإنكاح وإرادة الاستِنكاح، لأن النكاح منطلق صلاح الأسرة إذا كان صالحًا في مقوّماته وعناصره.

ففي إرادة **الإنكاح** قال تعالى: ﴿قَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾[القصص: ٢٧].

ولو فهمنا معنى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ لاتضَّح السبيل.

إن الله سبحانه وتعالى أمر شعيبًا أن يستصحب موسى، فكان هذا بمثابة إرادة مرحلة تربوية يُهيَّأ فيها كليم الله..

لم يكن تعيين هذه السنوات التي عيّنها له ليرعى الغنم، وهو الرجل الشديد الذي تربّى زمنًا طويلاً في قصر فرعون عبثا، إنه لا يمكن أن يكون كليم الله وأن يقود الأمة في مواجهة الفرعون، حتى يُربّى في بيت نبيّ رسول، ولا بد أن يكون راعيًا للغنم، تلك المخلوقات الضعيفة التي يتعلّم الإنسان منها الذِلّة، ويتعلّم من خلال رعيه لها الرحمة.

لم يكن تعيين ذلك الوقت من باب المغالاة في المهور، بل كان تربية وتهيئة له، قبل أن يرى ذلك المشهد النوراني: ﴿ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾ [طه: ١٠]

اليوم منطلق الإنكاح: (أريد أن أشقّ عليك)، وما يُعانيه شبابنا اليوم من معضلات الزواج ناتج عن: (أريد أن أشقّ عليك).

أما أن نفهم كيف نجمع الصالحَ إلى الصالحة، وكيف نجمع الصالحةَ إلى الصالح، فهذا أصبح أمرًا مستغربًا، لأن الأصل ما يُدفع في الزواج من القِيم المادية.

ووردت في القرآن إرادة **الاستنكاح** بقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ [الأحزاب: ٥٠]

فالإنكاح والاستنكاح طريقان، يُوصل بهما إلى الأسرة، حيث يبحث الجانب الأنثوي عن مكافئه، ويبحث الجانب الرجولي الذكري عن مكافئه.

وهذا يرد على العادات التي تقول: يجب على الفتاة أن تنتظر، فهذا ليس صحيحًا، فهنا في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: الفتاة هي التي تخطبه وتقول لأبيها: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، وهناك في الاستنكاح يطلبها الرجل: ﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا﴾ .

فقدنا عناصر البناء الاجتماعي، لأننا نبحث عن أسرة بالمستوى المادي، وهي أولويتنا، وأما ما بعدها فيُتساهل فيه.

والمطلوب العكس، أن يُبحث عن التناسب والتكافؤ في الدِين، وفي الخُلُق، ثم تأتي في الرُتب التالية الأمور الأخرى.

لكن ماذا نفعل حين لا يكون همُّ المجتمع وهمُّ الأمة حاضرًا عندنا؟ ماذا نصنع حينما لا يكون عندنا إلا همُّ الأنا، والفردية التي لم تبق لنا كيانًا، وجعلتنا آخر العالَم في سُلّم الحضارة والنهضة.

ولننظر إلى معالجة القرآن لديمومة الأسرة بالإرادة، فقد بنى الأسرة بالإرادة وحافظ على البناء بالإرادة.

بناء الأسرة بالإنكاح والاستنكاح على القواعد، فإذا تمّ البناء وظهرت فيه المعضلات، فلا يمكن أن تنحل إلا بالإرادة، وصرّح بهذا القرآن عندما قال: ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾[النساء: ٣٥]

لكن إذا فُقدت إرادة الإصلاح، وأصبحت المرأة تُدفع بإرادة التخريب المستندة إلى تقاليد لا صلة لها بموازين الله فسوف تتخرب الأسرة، وإرادة التخريب أو الإفساد تدفعها عادات وتقاليد أسميتها يومًا من الأيام: وثنية العادات.

﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾ لا تصدّقوا أن أسرة يكون فيها إرادة الإصلاح من الطرفين تنفصل يومًا ما، لكن إذا تدخّل الآخرون، فأفسدوا إرادة الإصلاح، لا يمكن أن يحصل التوفيق.

ينبغي أن تكتب كل أسرة في منـــزلها هذه الآية: ﴿إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا﴾

وإذا فُقدت إرادة الإصلاح، ستتخرب الأسرة.

أما أنواع الإرادة الظلمانية المذكورة في القرآن، فمنها:

أولاً: إرادة المعبودات الباطلة.

فكل معبود سوى الله، معبود باطل، فمن عَبَدَ ماله فمعبوده باطل، ومن عبد شهوته فمعبوده باطل، ومن عبد نفسه وهواه فمعبوده باطل.

وهذه الإرادة مُصرَّحٌ بها في قوله تعالى وهو يحكي قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ، أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات: ٨٥-٨٦]

أي إرادتكم في المعبودات الباطلة.

ثانيًا: من أنواع الإرادة الظلمانية: إرادة الاحتكام إلى غير الله.

فالله سبحانه وتعالى أعطانا ميزانًا ربانيًا نحتكم إليه، وسمّى غيره طاغوتًا، لأن الطاغوت من الطغيان، والطغيان: تجاوز الحَدّ. وقد حدّ الله لنا الميزان، فإذا انحرفنا عن هذا الميزان، انحرفنا إلى الطاغوت، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾، فالدعوى عندهم أنهم أهل إيمان.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ وتسأله: ألا تؤمن بالقرآن؟ فيقول: القرآن على رأسي، والقرآن عظيم عندي.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٦٠]

فلو أن الأمة التي تُسمّى أمةً إسلاميةً، رضيت بحُكم الشريعة، لانتهى ما نتحدث عنه صباح مساء من فساد القضاء، وعندها لن نحتاج إلى القضاء، فَسَد أو صَلَح، وكم في قضائنا ما هو موجود من القوانين الوضعية، والشريعة الإسلامية في دستورنا السوري مصدر، أو مصدر رئيسي من مصادر تشريعنا (على التنكير) لكن الحق في الأمة الإسلامية أنَّ المصدر لتشريعها هو الشريعة الإسلامية.

إذا كنا أمة إسلامية، فالمصدر الرئيسي (على التعريف) لا على التنكير هو الشريعة.

هل يستطيع الذين يُرشحون أنفسهم لمجلس الشعب أن يغيّروا هذه الفقرة من الدستور؟

سوف نرى، فالدعاوي كثيرة.

هذا البرلمان الذي يُسمّى تشريعيًا، هل سيكون مع أهداف الأمة؟

الإرادة الثالثة الظلمانية: إرادة سلامة النَفْس على حساب المبادئ.

المهم أريد سلامة نفسي..

مهما كانت الانحرافات عن المبدأ، أريد سلامة نفسي.

وقد صرّح الله سبحانه وتعالى بهذه الإرادة بقوله:

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾

أي المطلوب عندهم أن يصلوا إلى سلامة النفس، فعندما يأتي إلى أوساط المسلمين والمؤمنين، يقول لهم ما يريدون، وعندما يتوجه إلى الوسط الآخر، يقول لهم ما يُسخط الله، ويُكفّره ويُخرجه من الملّة.

إن قيل هذا صبحكم		ليلٌ فقولوا مظلمُ
أو قيل هذا شهدكم		مُرٌّ فقولوا علقمُ
يا قوم لا تتكلموا		إن الكلام محرّمُ
ناموا ولا تستيقظوا		ما فاز إلا النُوَمُ

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩١]

لأنهم لا مبدأ لهم، ويميلون مع كل ريح، ويتّبعون كل ناعق.

الإرادة الرابعة: إرادة التحريف العَقَدي.

وهي لعبة تُمارس في عالمنا اليوم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾

من قال: أنا أؤمن بالله وملائكته ونوح وإبراهيم وآدم وموسى وعيسى ولا يؤمن بمحمد، فهو كافر، وهذا هو نص في القرآن.

وقلنا مرارًا وتكرارًا: هذا جزء من عقيدتنا، ويكفي التلاعب بثوابت العقيدة.

وقلت مرارًا وتكرارًا: هذا لا يعني أننا نقاتل أو نقتل من لا يدخل في الإسلام، فنحن نعتقد كفره، لكن نُحسن إليه، ونُقْسط، ونَعْدِل، ونَبَرُّ، لأن إسلامنا علّمنا ذلك.

فنحن أمة عادلة فاضلة، إن هي طبَّقت مبادئها.

أما الاعتقاد الذي يحاول بعض الناس أن يتلاعب بثوابته، ليقولوا: إنَّ من آمن بعيسى دون أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو مؤمن فهو اعتقاد باطل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ﴾

إذا لم يؤمن برسول واحد من الرسل فهو كافر، فكيف إذا لم يؤمن بسيد الرسل وإمامهم محمد عليه الصلاة والسلام!!

إذا لم ننافح عن العقيدة، وإذا لم ندافع عن ثوابتها، سيأتي المغرضون وأصحاب المآرب ليلتفوا على ثوابتنا، ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وُيرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً، أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾[النساء: ١٥٠-١٥١]

لماذا فُقِد من خزانة الفاتيكان إنجيل برنابا، الذي اُكتشف في تلك الخزانة؟

لأن هذا الإنجيل يُصرِّح باسم محمد صلى الله عليه وسلم، في المكان الذي لا يصل إليه أحد، وعندما اُكتشف، قال بعض المُضللين: قد وضعه المسلمون، لكن هل يستطيع المسلمون الوصول إلى خزانة الفاتيكان أو إلى خزانة حارس حارس الفاتيكان؟!

الإرادة الخامسة الظلمانية: إرادة الخداع.

ونقرأ هذه الإرادة في قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ﴾[الأنفال:٦٢] وما أكثر من يريد المخادعة. ونقرأ ذلك في قوله تعالى:﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ اللّهَ مِن قَبْلُ﴾[الأنفال: ٧١]

الإرادة الظلمانية السادسة: إرادة مخالفة الجماعة التي على الحق.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[التوبة: ١٠٧].

الإرادة الظلمانية السابعة: إرادة الفرار، والانسحاب من المسؤوليات.

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ يتعلل بالعلل، وبالأعذار، ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلا فِرَارًا، وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلا يَسِيرًا﴾[الأحزاب: ١٣-١٤]

يعتذرون عن خدمة الله ورسوله بأعذارهم، لكن حين تظهر مآربهم، وحين تظهر مصالحهم، وتلوح لهم من بعيد الأموال، يزحفون لها زحفًا.

إذًا ما هو إلا الفرار من المسؤولية، ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً﴾[التوبة: ٤٦] لكن أين إعدادهم، وهو خطاب يتحدث عن الإرادة ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ﴾

الإرادة الثامنة: إرادة المنعة والجاه.

وهذا مصرّح به في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾، أي الجاه والمنعة ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

اطلب مولاك يكن الجاه في خدمتك، ولا تطلب الجاه، لأنه قاطع يقطعك عن الله.

الإرادة التاسعة: إرادة معصية الله.

مصرّح بها في قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾[القيامة: ٥] أي يعزم على فعل المعصية، ويقول: سأفعل كذا.. ويكون فيه عازمًا على فعل معصية لله.

الإرادة الظلمانية العاشرة: إرادة الشذوذ السلوكي.

فحين يضطرب سلوك الإنسان ربما يصل إلى مرحلة الشذوذ، ويبتعد حتى عن الخِلقة الإنسانية.

وهذا مصرّح به في قصة قوم لوط:

﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩]، فهم يريدون شذوذًا وانحرافًا عن الجبلَّة والخلقة.

الإرادة الحادية عشرة: إرادة الإفساد الخلقي.

﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا﴾[النساء: ٢٧].

يريدون أن يذوِّبوا أخلاقنا، وأن لا يبقى لنا شيء اسمه الأخلاق، فالفساد ينتشر مع ضعف بواعث الإيمان، وتهميش من يريد الدعوة والإصلاح، وهذا يقود إلى تطرف من نوعين: تطرف يتوهم أنه مصلح فيقوم بالتفجير والتفخيخ، وتطرف من نوع آخر يقف ليشتم الإسلام، بل وليشتم نبي الإسلام.

الإرادة الأخيرة التي استقرأتها من أنواع الإرادات الظلمانية:إرادة محو الإسلام.

وهي ديدن من يسيِّر العالم اليوم، ديدنهم: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨]

رُدَّنا اللهم إلى دينك ردًا جميلاً واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه أقول هذا القول وأستغفر الله.